المحاضرة الرابعة

مستوى العمليات العقلية

دلت الأبحاث التي قام بها بينيه Biner و هنري Henri على انه كلما مالت العمليات العقلية نحو التعقيد، زادت تبعا لذلك الفروق العقلية القائمة بين مستويات الأفراد المختلفين. أي أن مدى تباين سلوك الأفراد بالنسبة للعمليات العقلية الدنيا اقل منه بالنسبة لتباينهم في العمليات العليا . وبذلك تصبح الفروق القائمة بين تفكير الناس أكثر من الفروق القائمة بين تميزهم الحسي .

وراثة المقدرة الذهنية : اثبت علماء البيولوجيا وعلماء النفس أن هناك أفرادا أذكياء،

وانه من الممكن اكتشاف التخلف العقلي من التفوق العقلي ولاسيما في فترة الطفولة، وكان ذلك بعد دراسات مستفيضة للاستدلال على التشابه بين الآباء والأبناء والتوائم والأقارب،كما أشاروا بأن هناك صفات للضعف العقلي منها:

- التردد.

- ميل الطفل إلى اللعب مع الأطفال الصغار.

- ينقص الطفل المتخلف عقلياً القدرة على التركيز في اختبارات بسيطة لمدة بسيطة وغيرها من العوامل.وبعيدا عن القدرات الموروثة للطفل، فان المؤثرات البيئية التي تحيطه وتعمل كقوة دافعه لنشاطه الذهني تحتاج إلى أن تكون في حالاتها في أحسن الحالات.هذا ليس هناك جدال بخصوص أهمية كل من علم تحسين النسل أو إصلاح الجنس البشري كوسائل لتحسين الحالة الذهنية للأفراد، إن درجة الذكاء للفرد في أي مرحلة من مراحل نموه هي محصلة تفاعلات الذكاء الموروثة وكل عوامل الخبرة التي تدفع القوة ويستجيب لها.

رابعا: التأثيرات البيئة على الذكاء والقدرات العقلية :

يطابق النمو الذهني تأثير التربية في كل مرحلة من مراحل النمو برغم أن الأطفال الأغبياء لا يمكن أن يتفوقوا عقلياً بينما يظلون على حالهم، وهناك ظواهر تدل على تأثير البيئة الصالحة تساعد الطفل على فعل الكثير مهما كان الجهد المبذول والعكس صحيح إذا كانت البيئة فقيرة وهزيلة. هذا وقد يولد الطفل ولديه درجة عالية من الجهد للتصرف بذكاء ولكن إذا لم يجد الدافع من خلال التعلم ليمارس هذه المقدرة فقد يبدو غبياومتخلفا عقليا. لقد أجريت دراسات عديدة لدراسة آثار مدرسة الحضانة ورعاية روضة الأطفال على القدرة الذهنية، كما أظهرت دراسة جودائف للأطفال الثمانية والعشرين المنتظمين في مدرسة الحضانة ومقارنتهم بمجموعة لم تحضر فيها تقدماً طفيفاً في تحقيق الذكاء بالنسبة للمجموعة الحاضرة في المدرسة، ولقد أظهرت أيضاً دراسات باريه وكوك" و"وليم" أن القدرة الذهنية تتأثر نتيجة لتدريب ما قبل المدرسة.

ولقد اتجهت البحوث أيضاً لاكتشاف تأثير مجالات البحث في المدرسة على ذكاء تلاميذ المدرسة الابتدائية، وكان منها دراسة على ثلاثة أطفال ذكاؤهم تحت المستوى العادي، وقد حضروا من المدرسة النظامية العامة مزودين بمناهج وخبرات مدرسية رسمية في مدرسة خاصة وبعد أكثر من عامين من الإنهاك والعمل المتواصل بهذه الأنشطة التعليمية اظهر تحسنا طفيفا في الذكاء. تؤثر كل من الوراثة والبيئة في فروق الذكاء المقاس، وقد لاحظ أن أثر إثراء المثيرات أو حرمانها منها يمكن أن نغير درجات نسب الذكاء عند الأطفال ويستند الدليل المرتبط بأثر الوراثة في الاختلاف في الذكاء المقاس على مصدرين أولاً توجد ارتباطات ة بين أنماط وراثية أو أنماط الأداء في الاختبارات العقلية مثلاً: غياب الكروموزم في منسقة حالة زملة الأعراض المعروفة إلى الارتباط بمستوى أعلى من المتوسط في القدرات اللفظية ومستوى اقل من المتوسط في القدرات الكتابية وفي حالة زملة أعراض "داون" المميزة لنوع من أنواع الضعف العقلي المعروف ترتبط الزيادة في كروموسوم معين بالتخلف العقلي المتوسط، أن معنى البيئة هو ليس مجرد وجود الأشياء والكائنات المختلفة التي تحيط بحياة الفرد صباحا مساءا، إنما تبدأ البيئة عندما تؤثر هذه الأشياء والكائنات في حياة الفرد فيستجيب لها، ويتعامل معها، ولا ينكر المدافعون إجمالا أن الذكاء موروث إلا أن ليس إلا مجرد بداية، فكما إنسان يرث بنيته الجسدية من والديه ولكن وزن الجسم مثلا يعتمد إلى حد بعيد على المستوى الغذاء ومزاولة التمارين الرياضية وبالمثل يقال بأننا نرث قدرات عقلية معينة، إلا أن تطور هذه القدرات وتفتحها يعتمد على ما نراه في البيئة حولنا من الولادة، وكيف يستجيب الوالدان لمحاولاتنا الأولى للكلام، ومستوى المدارس التي نرتادها والكتب وبرامج التلفزيون وحتى الغذاء الذي يتاح لنا، بل أن بعضهم يرى أن تأثير البيئة يبدأ قبل الولادة، كما أن العوامل البيئية تتفاعل وتتعاون في تحديد صفات الفرد ، وفي ذكائه، ومستوى نضجه حيث أن العوامل البيئية تتيح إمكانيات عديدة لهذه القدرة الكامنة، لأنها تنمو وتعمل وتعبر عن نفسها بالشكل الذي تقيسه اختبارات الذكاء ، كما أن التأثير لا يقتصر على تقدير الظروف وتهيئة الوسائل للقدرة الكامنة لان تعمل وتظهر وإنما البيئة يمكن أن تقدم أكثر من ذلك ، وإنما يمكن أن تعمل على تحسين الذكاء وانه عن طريقه يمكن إزالة الفوارق بين الأفراد ، فللبيئة وظروفها أثرها في الذكاء وعلى نموه وتطوره.